الفصل الثاني

تفسير الحوفي مرحلة تطور في التفسير في مصر

بان لنا من خلال الفصل الأول المراحل التي مر بها التفسير في مصر من وقت دخول الإسلام مصر إلي عصر الحوفي ، وأنة نشأ أولا في عاتق القراء ، كما اعتمد في جميع مراحله مدرستي ابن عباس "مدرسة مكة" "وابن زيد " " مدرسة المدينة" كما سادت قراءة نافع عن طريق مدرسة ورش تلك المراحل ، وساد في الفقه مذهب مالك ثم انضم إليه مذهب الشافعي وساد في الحديث اتجاه مدرسة المدينة وعالمها ابن شهاب الزهري .

وبان لنا أن تلك الاتجاهات استمرت وآلت إلي النحاس الذي تتلمذ علي أئمة مدرسة ابن عباس "يموت بن المزرع " "وبكر بن سهل الدمياطي " وأئمة مدرسة ابن زيد يونس ابن عبد الأعلى " وأئمة مدرسة ورش في القراءات ، انتهت تلك المراحل عند النحاس دون أن تظهر ملامح الشخصية المصرية إن في تلك بدايتها عقلية تجميعية تأخذ للتعلم وذلك طبيعي في أمة حديثة عهد بالإسلام ، فلما تكونت الشخصية المصرية الإسلامية بدأت ملامحها في الظهور والازدهار حتى اكتملت ونضجت عند الحوفي .ولما كان النحاس هو شيخ الإدفوي والإدفوي هو شيخ الحوفي ، وإذا كانت المصادر قد أجمعت علي أن مؤلفات الإدفوي لم تصل إلينا فقد سلمت مؤلفات النحاس وبعض مؤلفات الحوفي مما يتيح لنا الكشف علي ما بدأ أنا به الفصل وهو القول بأن تفسير الحوفي مرحلة تطور في التفسير بمصر تنكشف من خلاله ملامح الشخصية المصرية ولكي نقف علي ذلك لابد من بيان منهج النحاس من مؤلفاته المتصلة اتصالاً وثيقاً بالنص القرآني ،وأول تلك المؤلفات أعراب القرآن :

ومنهج النحاس في كتابه " إعراب القرآن " بيّنه في مقدمة الكتاب يقول : هذا كتاب يقول: هذا كتاب اذكر فيه إن شاء الله أعراب القرآن ، والقراءات التي تحتاج أن يبيِّن إعرابها والعلل فيها ولا أخليه من اختلاف النحويين ، وما يحتاج إليه من المعاني وما أجازه بعضهم ومنهم زيادات في المعاني وشرح لها ، ومن الجموع واللغات ، وساق كل لغة لأصحابها ولعله يمرّرُ الشيء غير مشبع فيتوهم متصفحة أن ذلك له موضعا غير ذلك ومذهبنا الإيجاز والمجيء بالنكتة في موضعها من غير إطالة وقصدنا في هذا الكتاب الإعراب ومشاكله بعون الله وحسن توفيقه(١).

ولعلنا نتساءل: هل قصد النحاس بهذا المنهج الذي بيّنه تفسير القرآن، أم اقتصر منهجه علي بيان الإعراب فقط؟ الواضح أن النحاس لم يقصد تفسير القرآن ، بل قصد إعراب القرآن والقراءات مع بيان اختلاف النحويين في ذلك وبيان اللغات ، في حين أن الحوفي يبدأ تفسيره للآية بالقول في الإعراب أي أن قصد الحوفي لم يكن الإعراب لذاته بل استخدم الإعراب وسيله لفهم المعني ، ومعني هذا أن الحوفي قد ربط الإعراب والمعني ، ولما كان الحوفي تلميذ النحاس فلابد أنه تأثر بصنيع النحاس في هذا الجانب ولكي نقف علي ذلك التأثير فلابد من الموازنة بينهما ، ونكتفي بمثال واحد لبيان ذلك .

ففي قوله تعالي(ٱلْحَمْدُ لله..ِّ)من سورة الفاتحة ، **يقول النحاس** : الحمد رفع بالابتداء علي قول البصريين ، **وقال الكسائي** : الحمد : رفع بالضمير الذي في الصفة الاسم لأنها لا تقوم بنفسها . **وقال الفراء**:الحمد: رفع بالمحل وهو اللام، جعل اللام بمنزلة الاسم لأنها لا تقوم بنفسها، وقرأ ابن عيينة رؤية ابن العجاج الحمد لله علي المصدر، وهي لغة قيس والحارس بن أسامة .والرفع وجه من جهة اللفظ والمعني ، فأما اللفظ فلأنه اسم

١ - أبو جعفر أحمد بن محمد بن إسماعيل النحاس :إعراب القرآن ١٦٥.

معرفة خبرت عنه ، وأما المعني فإنك إذا رفعت أخبرت أن حمدك وحمد غيرك لله عزوجل وإذا نصبت لم يعد حمدك نفسك ، وعن الكسر يقول : روي إسماعيل بن عباس عن رزيق عن الحسن أنه قرأ :"الحمدِ لله" وقرا إبراهيم بن أبي عبلة:"الحمدُ لُله"وهذه لغة بعض بني ربيعة ، والكسر لغة تميم ، فأما العلة في الكسر فإن هذه اللفظة تكثر في كلام الناس والضم ثقيل ولا سيما إذا كان بعد كسر، وجعلوها بمنزلة شيء واحد ، والكسرة مع الكسرة أضعف وكذلك الضمة مع الضمة ، ولذلك قيل الحمدُ لِله(١) .

بهذا القول جمع النحاس بين الإعراب الذي هو ضبط أواخر الكلم والقراءات القرآنية وَجَّهها حسب لغة كل قبيلة ، في حين أن الحوفي قد فصل بين الجانب النحوي وجانب القراءات وهو في الجانب النحوي وإن كان وجه التأثر بشيخه واضحًا إلا أنه اعتمد علي الأصل وهو في نظر، سيبويه يقول : إذا قلت الحمد لله بالرفع بالابتداء ، إذا قلت الحمد لله بالرفع ففيه من المعني مثل ما في قولك :حمدت الله حمداً إلا أن الذي يرفع يخبر أن الحمد منه ومن جميع الخلق ، والذي ينصب يخبر أن الحمد منه وحده ، فذاك معني المرفوع إلي مثل معني المنصوب وزد عليه بأن جعل الحمد يكون عن فعله وفعل غيره لله عزوجل ، واللام في قولك لله أصلها الفتح يدل علي ذلك أنك أنت إ ذا أضمرت قلت الحمد له فردها الإضمار إلي أصلها وكسرت مع الظاهر للفرق بينها وبين لام التوكيد وزعم ابن كيسان أن الأصل فيها الكسر لأنها خافضة فالأولي بها أن تكون حركتها مشبهة لعملها وفتحت مع المضمر كراهة للضمة بعد الكسر إذا قلت لَهْو إذ ليس في الكلام فَعُل وإذا دخلت اللام علي اسم الله حذفت ألف الوصل من الخط فتكتب لله بغير ألف لئلا تشبه النفي وتكتب بالله بألف انك تحتاج إلي ألف بعدها إذا أردت النفي فتقول لا ألواحك (٢)

١- النحاس :نفسه ١/١٧٠،١٩٦.
٢- الحوفي :البرهان ١/٨.

وبالموازنة بين قول النحاس والحوفي يتبين لنا الآتي:

١- أن النحاس لم يقصد الإعراب لذاته بل جمع بين المباحث اللغوية في صورة الإعراب والقراءات في حين أن الحوفي قصد الإعراب لذاته ليتخذ وسيلة في فهم المعني .

٢- وأنهما اتفقا في بعض الجوانب وافترقا في الجوانب الأخرى ، اتفقا في التعليل للمرفوع وافترقا في التعليل للمنصوب ،والأصوب قول الحوفي لاتفاقه والمنطق حيث يقول والذي ينصب يخبر أن الحمد منه وحده .

٣-وان الحوفي أدق من النحاس في تعليله لفتح اللام وحذف الألف من اسم الله والنحاس لم يناقش ذلك ولم يعلل له .

وإذا أخذنا مثال آخر من صنيع النحاس نراه في قوله تعالي:

﴿ وَٱلتِّينِ وَٱلزَّيْتُونِ ۝١ وَطُورِ سِينِينَ ﴾ (١) .

يقول أدغمت اللام في التاء والزاي لقربها منها ، ولا يجوز الإظهار مع لام التعريف لكثرتها في الكلام ، ويجوز في غيرها وان كانت هذه اللام قد قيل : إنها مع ما هي ههنا اسم علم . قال محمد بن كعب : التين مسجد أصحاب الكهف ، والزيتون مسجد إيليا ، فإن التعريف ثم وقعت التسمية وكذا قول من قال : التين دمشق والزيتون بيت المقدس .

وقول من قال: هما مسجدان أحدهما الذي كلم الله عزوجل عليه موسي صلي الله علي وسلم.فإما داود بن أبي هند فروي عن عكرمة وعن ابن عباس قال: التين تينكم هذا .والزيتون زيتونكم ، قال أبو جعفر : وهذه الأقوال إذا حصلت آلت إلى معني واحد لأن القسم إنما هو برب العالمين جل وعز فالتقدير ورب التين والزيتون.وطور سنين قيل هو طور سيناء جاء بلغات (٢) .

١- سورة التين آية: ١،٢ .
٢- النحاس : إعراب القرآن ٢٥٤/٥.

وهذا القول من النحاس طغي عليه الجانب اللغوي فأخرجه عن مقصود الإعراب في حين أن الحوفي كان دقيقا في تحديده لكل جانب من جوانب منهجه ، فهو عندما يقصد النحوي يكون ملتزمًا به يقول : والتين خفض بواو القسم والزيتون عطف وكذا وطور سنين(١) .

فإذا انتقل إلي القول إلي المعني والتفسير يقول قال بعضهم عني بالتين: التين الذي يوكل وبالزيتون : الزيتون الذي يعصر ، وهو قول الحسن وعكرمة ومجاهد وقال آخرون التين مسجد دمشق والزيتون بيت المقدس قاله كعب وقتادة وابن زيد وعكرمة قال آخرون التين مسجد نوح والزيتون مسجد بيت المقدس قاله ابن عباس وقيل التين والزيتون وطور ثلاث مساجد بالشام ، وقال آخرون الطور الجبل سينين مبارك وقال قتادة وطور سنين جبل بالشام مبارك حسن وقال قتادة أيضا وكعب والحسن وابن عباس هو جبل موسي بن عمران ومسجده ، وقالوا سنين مبارك حسن (٢).

والحوفي بهذا منظم الفكر لا يجمع بين جانب وجانب أمين في استقائه للأقوال وان كان يأخذ باقوال أستاذه إلا أنه ينسبها لمصدرها الاصلي.

أولا : منهج النحاس في كتابه معاني القرآن(٣).

جاء صنيع النحاس في هذا الكتاب مقاربًا لصنيعه في كتاب إعراب القرآن فقد بين فيه الغريب وأحكام القرآن وتصريف الكلمة واشتقاقها والإعراب يقول في مقدمته قصدت في هذا الكتاب تفسير المعاني، والغريب، وأحكام القرآن، والناسخ والمنسوخ عن المتقدمين من الأئمة ، واذكر من قال الجلة من العلماء باللغة وأهل النظر ما حضرني

١- الحوفي :البرهان ١٠/٢٨.
٢- الحوفي :البرهان ١١/٢٨.
٣- مخطوط دار الكتب المصرسة رقم ٣٨٥ تفسير عدد أوراقها ٢٣٣ورقة.

وأبين تصريف الكلمة واشتقاقها إن عملت ذلك ، وأتي من القراءات بما يحتاج إلى تفسير معناه وما احتج إليه المعني من الإعراب ، وما احتج في مسائل سأل عنها الملحدون أبين ما فيه حذف الاختصار أو إطالة لإفهام ، وما كان فيه تقديم أو تأخير واشرح ذلك حتى يتبينه التعلم وينتفع به ، كما ينتفع العالم بتوفيق الله وتسديده (١).

للنسخ في بعض الآيات . وهو في كل هذا قد نبه عالمنا الحوفي أن يقتفي أثره ويحتذي حذوه لكن مع الاختلاف في الطريقة والمنهج ، فالحوفي مكتمل والمنهج فالحوفي مكتمل المنهج كما بيّنا ذلك في منهجه استوفي شروط المفسر واكتملت أدواته ثم بدأ يطبقها تطبيقا عملياً .

يبدأ بالإعراب فيستوفي فيه كل مسائل اللغة والنحو من ضبط أواخر الكلم والتعلق اللفظي واللغات وأصل الكلمة والاشتقاق والتصرف والإيجاز والإطناب والتقدم والتأخير وما إلى ذلك ، ثم ينتقل إلى القراءات فيبين أوجه القراءات ويعلل لكل قراءة ثم ينتقل إلى المعني والتفسير فبيّن فيه النظائر والنقيض وأسباب النزل والناسخ والمنسوخ والأحكام الفقهية والوقف والتمام مستشهدًا في كل ذلك بالشعر فإذا تعرض لمسألة كلامية أو بلاغية تنازلها بالشرح والتفصيل وبهذا نقول إن الفرق بين الحوفي والنحاس :

أن النحاس مع انه قد انتهت إليه مدرسة ابن عباس وابن زيد في التفسير ومدرسة ورش في القراءات لغوي ، والحوفي تلميذ النحاس مفسر لأنه قد اكتملت في تفسيره أدوات المفسر ، ومن هنا يصعب علينا الموازنة ، ويبقي لنا أن نوازن بين مفسر قد آلت إليه مدارس التفسير في مصر وهو معاصر للنحاس هو ابن جرير الطبري ت ٣١٠هـ و بيّن الحوفي في تفسيره.

١- النحاس: معاني القرآن ١.

وابن جرير الطبري و إن لم يكن مصريا فإنه دخل مصر ٢٥٣ فأخذ القرآن والتفسير عن علمائها و تفسير جامع البيان الذي ظل يمليه من سنة ٢٨٣ هـ حتى سنة ٢٩٠ هـ[١]، والذي ذاع و انتشر في أنحاء العالم الإسلامي يشتمل على كثير من الروايات المصرية التي ضمنها تفسيره، والذي اعتمد عليه الحوفي في تفسيره، فجامع البيان عن تأويل آي القرآن لابن جرير الطبري من أهم مصادر الحوفي في تفسيره، كما أشرنا وللموازنة بين التفسيرين؛ نذكر مثالا واحدا لنبيِّن نهج كلاهما ففي قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ ۛ فِيهِ ۛ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾[٢]

يقول ابن جرير الطبري: القول في تأويل قوله عز و جل ثناؤه: ذلك الكتاب قال عامة المفسرين: تأويل قول الله تعالى ﴿ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ...﴾[٣] هذا الكتاب[٤]، وقد أورد أربعة أخبار ليدل على هذا المعنى[٥]، ثم عقب على ذلك بقوله : فإن قال قائل: و كيف يجوز أن يكون ذلك بمعنى هذا؟ و هذا لا شك إشارة إلى حاضر معاين، " و ذلك " إشارة إلى غائب غير حاضر و لا معاين، قيل: جاز ذلك لأن كل ما تقتضي بالقرب تقتضيه من الإخبار فهو و إن صار بمعنى غير الحاضر، فكالحاضر عند المخاطب و ذلك كالرجل يحدث الرجل الحديث فيقول السامع: " إن ذلك و الله كما قلت " هذا و الله كما قلت" و هو الله كما ذكرت" فيخبر عنه مرة بمعنى الغائب إذا كان قد تقضي و مضى لقرب جوابه من كلام مخبر، كأنه غير منقض، فكذلك تصرفها في وجهها من المعاني على ما وصفنا، قال لنبيه صلي الله عليه وسلم " يا محمد هذا إلى ذكرته و بينته لك الكتاب و لذلك حَسُن وضع

١ - ياقوت: معجم الأدباء ٤٢/١٨.
٢ - سورة البقرة : الآية ٧ .
٣ - سورة البقرة : من الآية ٧ .
٤ - الطبري: جامع البيان ٢٢٥/١.
٥ - الطبري: نفسه الأخبار ٢٤٧، ٢٤٨، ٢٤٩، ٢٥٠، ٢٢٥.

ذلك " في مكان " هذا" لأنه أشير به إلى الخبر عما تضمنه قوله" الم " من المعاني بعد تقضي الخبر به بـ " ذلك " لانقضائه و مصير الخبر عنه كالخبر كالخبر عن الغائب،و ترجمه المفسرون: انه بمعنى هذا لقرب الخبر عنه من انقضائه فكان المشاهد المشار إليه بهذا، نحو الذي وصفناه من الكلام الجاري بين الناس في مجاراتهم، و كما قال جل ذكره: ﴿وَٱذۡكُرۡ إِسۡمَٰعِيلَ وَٱلۡيَسَعَ وَذَا ٱلۡكِفۡلِۖ وَكُلّٞ مِّنَ ٱلۡأَخۡيَارِ ۝٤٨ هَٰذَا ذِكۡرٞ... ﴾ (١).

فهذا ما في " ذلك " إذا عني بها هذا(٢).

و يذكر تأويلات أخرى إلا أنه يرجح التأويل الأول بقوله: القول الأول أولى بتأويل الكتاب لما ذكرنا من العلل و قال بعضهم: " ذلك الكتاب " يعني به التوراة و الإنجيل، و إذا وُجّه تأويل ذلك إلى هذا الوجه، فلا مؤونة فيه على متأوله كذلك، لأن ذلك يكون حينئذ إخباراً عن غائب على صحة (٣).

ثم ينتقل بعد ذلك إلى قوله تعالى﴿ ...لَا رَيۡبَۛ فِيهِ ...﴾. (٤)

و تأويل قوله﴿ ...لَا رَيۡبَۛ فِيهِ ...﴾ لا شك فيه(٥) ثم يورد ثمانية أخبار ليدلل على هذا المعنى(٦)، ثم يعقب على ذلك بقوله: وهو مصدر من قول القائل:"رابني الشئ يريبني ريبا"ومن ذلك قول ساعدة بن جؤية الهذلي:

فقالوا: تركنا الحي قد حَصِرُوا به **** فلا ريب أن قد كان ثَمَّ لجيم(٧)

١ - سورة ص آية ٤٨، ٤٩.
٢ - الطبري: نفسه٢٢٦/١.
٣ - الطبري: نفسه٢٢٨/١.
٤ - سورة البقرة : من الآية ٧ .
٥ - الطبري: نفسه٢٢٨/١.
٦ - الطبري: نفسه٢٩٩/١ الأخبار أرقام ٢٥١: ٢٥٨.
٧ - ابن منظور: اللسان مادة " حَصَرَ ".

و يروي: " حَصَرِرا" و " حَصِرِرا" و الفتح أكثر، و الكسر جائز يعني بقوله حُصِرِرا به": أطافوا به، و يعني بقوله﴿ ...لَا رَيْبَ ...﴾ لا شك فيه، و بقوله إن قد كان ثم لحيم": يعني قتيلا. يقال قد لُحِم إذا قُتِل، و الهاء التي في﴿ ... فِيهِ ...﴾ عائدة على الكتاب كأنه قال : لا شك في ذلك الكتاب أنه من عند الله هدى للمتقين(١).

و في قوله تعالى﴿ ... هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴾(٢) يورد ثمانية أخبار ليدلل على المعنى أيضا ثم بعد أن يورد تلك الأخبار يكشف عن بعض الجوانب اللغوية ليصل إلى المعنى المراد.

و الطبري في كل ذلك ملتزم بالتفسير النقلي بما يورده من أخبار ثم بثقافته اللغوية يعقب على بعض الجوانب اللغوية لبعض المواقع الإعرابية أو استشهاداً بالشعر أو غير ذلك مما يجعلنا نعده مفسراً نقلياً بالدرجة الأولى.

أما الحوفي فهو عند تفسيره للنص القرآني نراه قد التزم منهجاً بعينه قد نوهنا عنه(٣).

و هو بالتزامه بهذا المنهج وضع شروطاً للمفسر تلك الشروط نستطيع أن نتلمسها من تفسيره للآي القرآني، ففي قوله تعالى:(ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ)(٤) لم يكن كابن جرير الطبري الذي خرَّج المعنى عن طريق الاستناد على المأثور مع شرح بعض الجوانب اللغوية، بل جاء تفسيره للآية مرتباً مبيناً كل جانب على حدة رابطاً تلك الجوانب بعضها ببعض، و قد سبق أن نوهنا عن ذلك في الفصول السابقة وهو بهذا المنهج قد جمع بين أمرين، جمع بين التفسير كمفسر كشف عن المعنى بالوسائل و الأساليب التي تلزم المفسر و تحقق له أهليته في التفسير و بين الاستقصاء و الاستنباط للمسائل المتعددة فجاء تفسيره متكاملا من جميع الجوانب و هو في جمعه لكل ذلك يميل

١ - الطبري: نفسه٢٢٩/١.
٢ - سورة البقرة : من الآية ٧ .
٣ - راجع الباب الثاني من هذا البحث، و ملحق البحث رقم ١.
٤ - سورة البقرة : من الآية ٧ .

إلى التخفيف و تبسيط المسائل أمام القارئ و هذه سمة قل أن تجدها عند مفسر آخر، والحوفي بهذا قد جمع أيضا بين أمرين بين تفسير القرآن – فالمطلع على تفسيره يجده قد استقصى كل الجوانب و الاتجاهات و كشف عن المعنى في صورة جامعة – و بين عالم متفرد بعلوم القرآن فأنت تستطيع أن تستنبط من تفسيره الأدوات و الأساليب التي تعين المفسر على فهم النص القرآني و هذا طبيعي في عام نشأ فوجد أمامه تلك الاهتمامات بدراسة النص القرآني مقصورة على منهج واحد أو اتجاهين على الأكثر ووجد من حوله تيارات تكاد ا تقضي على الفكر الإسلامي فقد نشأ في وقت نضجت فيه الدولة الفاطمية في مصر باتجاهاتها المختلفة من متأولي النص القرآني و سب صحابة رسول الله ووقع اللحن من العناصر الدخيلة على الإسلام. لكل هذا جاء صنيع الحوفي جامعا بين المناهج التفسيرية المتعددة: المنهج اللغوي، و المنهج النقلي، و المنهج الكلامي، و المنهج الأدبي، جامعا بين أقوال الأئمة من كل الأمصار و في كل اتجاه فجاء تفسيره موسوعة تفسيرية حافلة بشتى المباحث.

ثانيا: مكانه الحوفي العلمية و أثره فيمن جاء بعده:

أ. مكانته العلمية:

لقد أنصفه المؤرخون و تناساه المفسرون، و لعل السبب في ذلك يرجع إلى طبيعة العصر الذي عاشه الحوفي و العصور التالية له، أو لعل السبب أن الحوفي لم يكن صاحب منصب مرموق على أقل تقدير لم يشغل منصباً يساعده على الظهور والانتشار أو لعل حب الظهور عند الآخرين طغى على هذا الرجل حيث أنهم أخذوا منه دون إسناد إليه ليقال أنهم أول من سلك هذا المنهج أو لعل ما حدث للدولة الفاطمية في مصر من ضياع مؤلفاتها

كان من الأسباب التي أدت إلى ذلك، أولعل كل هذه الأسباب جعلت المفسرين يتناسونه، و مهما يكن من امر فلقد أنصفه المؤرخون و هذه آراء أهم من ترجم له:

١- الإمام شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي الرومي البغدادي المتوفى سنة ٦٢٦ هـ: ترجم للحوفي في " معجم الأدباء "، "معجم البلدان " فأفاض في وصفه و منزلته يقول :" على بن إبراهيم بن سعيد بن يوسف الحوفي أصله من قرية تسمى شبرا النخلة من حوف ببلبيس من الديار المصرية أخذ عن أبي بكر الإدفوي صاحب النحاس و كان نحوياً قارئاً، مات في مستهل ذي الحجة سنة ثلاثين و أربعمائة وله من التصانيف: كتاب الموضح في النحو و هو كتاب كبير حسن و كتاب البرهان في تفسير القرآن، بلغني أنه في ثلاثين مجلداً بخط دقيق(١).

٢- الوزير جمال الدين أبو الحسن يوسف القفطي ت ٦٤٦ هـ:

في ترجمته للحوفي يقول: " هو علي بن إبراهيم بن سعيد أبو الحسن النحوي الحوفي المصري، فاضل عالم بالنحو و التفسير، قيم بعلل العربية أتم قيام أهل ضيعة من حوف مصر، واسمها شبرا النخلة، دخل مصر فطلب العربية،و قرأ على أبي بكر الإدفوي و أخذ عنه وأكثر، طالع الكتب، ولقي جماعة من علماء المغرب القادمين على مصر و غيرهم، و تصدر لإفادة هذا الشأن و صنف في النحو مصنفا كبيرا عني به النحويون استوفى فيه العلل و الأصول، و صنف مصنفات أصغر منه رأيت المصريين يشتغلون بها، وصنف تصنيفا كبيراً في "إعراب القرآن " أبدع فيه يتنافس العلماء هناك في تحصيله(٢).

١ - ياقوت: معجم الأدباء ٢٢١/١٢، ٢٢٢، معجم البلدان ٣٦٧/٣.
٢ - القفطي: أنباه الرواة ٢٢٠/٢.

فلو لم تكن غير هذه الشهادة من القفطي لكفته، غير أن هناك كثيراً من المؤرخين غيره قد شهدوا له منهم:

٣- شمس الدين أحمد بن محمد بن خلكان ٦٨١ هـ:

فلقد شهد له بأنه كان عالماً بالعربية وتفسير القرآن الكريم يقول: أبو الحسن على بن إبراهيم بن سعيد بن يوسف الحوفي النحوي، كان عالماً بالعربية وتفسير القرآن الكريم وله تفسير جيد اشتغل عليه خلق كثير وانتفعوا به ورأيت خطه على كثير من كتب الأدب قد قرئت عليه وكتب لأربابها بالقراءة كما جرت به عادة المشايخ، وتوفي بكرة يوم السبت مستهل ذي الحجة سنة ثلاثين وأربعمائة(١).

٤- الإمام شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي ت ٧١٨ هـ:

وصف الحوفي بأنه علامة نحوي مصر يقول: " العلَّامة نحوي مصر أبو الحسن علي بن إبراهيم بن سعيد الحوفي صاحب أبي بكر محمد بن علي الإدفوي، له إعراب القرآن في عشر مجلدات تخرج به المصريون وتوفي سنة ٤٣٠ هـ (٢)"

٥- محمد بن شاكر أحمد الكتبي الشافعي ت ٧٦٤ هـ:

شهد له لأنه كان نحوياً قارئاً له تفسير القرآن يسمى البرهان في تفسير القرآن(٣).

٦- الحافظ جلال الدين عبد الرحمن السيوطي ت ٩١١ هـ:

شهد له بأنه كان إماماً في العربية والنحو والأدب(٤)وكان نحويا قارئاً ووصفه بأنه له البرهان في تفسير القرآن وعلوم القرآن، والموضح في النحو(٥).

---

١ - ابن خلكان: وفيات الأعيان ٤١٨/١ .
٢ - الذهبي: سير إعلام النبلاء ١١٥/١١.
٣ - الكتبي: عيون التواريخ ١٤٩.
٤ - السيوطي: بغية الوعاه ١٤٠/٢.
٥ - السيوطي: حسن المحاضرة ٢٥٤.

٧- الإمام أبو المحاسن عبد الباقي اليمني:

شهد أيضا بأن الحوفي إماماً عالماً بالنحو و التفسير يقول:

علي بن إبراهيم بن سعيد الحوفي النحوي" إمام عالم بالنحو و التفسير قرأ العربية على أبي بكر الإدفوي و لقي جماعة من علماء المغرب قدموا مصر و أخذ عنهم له مصنفات في النحو و إعراب القرآن العظيم تصانيف مفيدة و عاش إلى بعد الأربعمائة(١).

٨- الحافظ شمي الدين محمد بن علي بن أحمد الداودي ت ٩٤٥ هـ :

شهد له أيضا بالإمامة و بأنه النحوي الأوحد في مصر يقول: " الإمام أبو الحسن الحوفي ثم المصري النحوي الأوحد من قرية شبرا من حوف بلبيس، له تفسير جيد سماه البرهان في تفسير القرآن و كتاب إعراب القرآن في عشر مجلدات،والموضح في النحو و كتب أخرى، أخذ عن أبي بكر الإدفوي و كان نحوياً قارئاً و أخذ عنه خلق من المصريين(٢)

٩- المؤرخ الفقيه الأديب أبو الفلاح عبد الحي بن العماد الحنبلي ت ١٠٨٩ هـ:

شهد له أيضا بالإمامة في العربية و النحو و الأدب يقول في سنة ثلاثين وأربعمائة وفيها الحوفي أبو الحسن على بن إبراهيم بن سعيد صاحب إعراب القرآن في عشر مجلدات كان إماماً في العربية و النحو و الأدب و له تصانيف كثيرة، قال في العبر هو تلميذ الإدفوي انتفع به أهل مصر و تخرجوا به في النحو(٣).

من هذه الأقوال التي أنصف فيها المؤرخون الحوفي يتضح لنا:

١) أن جميع من ترجم له اتفقوا على أنه كان إماماً في العربية و تفسير القرآن.

٢) و أنه الأوحد في النحو في مصر و هذا يدل على تمكنه في النحو و براعته فيه.

٣) و أنه تخرج على يديه كثير من أهل مصر.

---

١ - عبد الباقي اليمني: إشارة التعيين ٦٠ ورقة ٣١.
٢ - الداودي: طبقات المفسرين ٣٨١/١، ٣٨٢.
٣ - ابن العماد الحنبلي: شذرات الذهب ٢٤٧/٣.

ولقد استنتجنا من تلك الأقوال ومن النماذج التطبيقية التي سوف نعرض لها من شهادة بعض تلاميذه على أن الحوفي لم يأخذ حقه العلمي بين تلاميذه أو من جاء بعدهم إلا من القليل النادر الذي أشار إليه بقصد أو بدون قصد، و إحقاقا للحق ارتأينا أن نعرض نماذج من أعمال اللاحقين الذين انتهجوا نهجه و سلكوا طريقه دون إشارة إليه أو عزو، و سوف نلتزم الترتيب التاريخي بينهم:

١ - أبو محمد مكي بن أبي طالب القيسي ت ٤٣٧ هـ:

سبقت الإشارة إلى أن مكي اتفق مع الحوفي في تعليله للقراءات و المطلع على كتابه الكشف على وجوه القراءات السبع و عللها و حججها يجد أن مكي قد ذكر تعليلاته للقراءات متفقة تماما مع تعليلات الحوفي في كتابه البرهان مع شيء من التفصيل و الموازنة بين المنهجين، نأخذ مثالين:

المثال الأول: ففي قوله تعالى ﴿ ....قَالُوٓاْ أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا ۖ قَالَ أَعُوذُ بِٱللَّهِ أَنۡ أَكُونَ مِنَ ٱلۡجَٰهِلِينَ ﴾ (١)

يقول الحوفي: قرأ حمزة هزؤا، و كفوا و جزءا بالإسكان و الهمز، و أبو بكر عن عاصم بالتحريك و الهمز، الباقون بالتحريك في كفوا و هزؤا و الهمز والإسكان فيه جزءا إلا حفصاً عن عاصم فإنه يقرأ: هزؤا و كفوا بغير همز و إثبات الواو فيهما، و يقرأ جزءا مثل الباقين: يقال: هزءً و كفءً و جزءٌ و " هزء" كفوء" وجزء" لغتان مشهورتان مثل الحُلْم و الحُلُم و العُقْب و العُقُب ، و قيل الأصل الضم و التخفيف تخفيف منه ، و حكي أبو عبيد أن أكثر العرب على تخفيف الجزء و تثقيل ما عداه و هزءٌ و كفوءٌ في المصحف بواو و جزء بغير واو فهذا تقوية لقول أبي عبيد فمن حرَّك مضى على الأصل في لغة من يحرك، و من خفف

١ - سورة البقرة آية ٦٧.

مضى على لغة من يسكن أوعلي لغة من خفف في حذف الضمة و من وقف على جزْ بالتخفيف اتبع الخط في المصحف(١).

و مكي يورد هذا القول مع شيء من التفصيل دون أن يشير إلى الحوفي، يقول قوله هزؤا و كفوا، و جزْء قرأ حمزة بإسكان الزْي و الفاء، و ضمها الباقون ، وكلمه حمزة إلا حفصا فإنه أبدل من الهمزة واواً مفتوحة على أصل التخفيف ، لأنها همزة مفتوحة قبلها ضمة فهي تجر على البدل كقوله: " السفهاء: لا في قراءة الحرمين و أبي عمرو كذلك يفعل حمزة إذا وقف كأنه يعمل الضمة التي كانت على الزْي و الفاء في الأصل، وكان يجب عليه على أصل التخفيف، ولو تبع لفظه، أن يلقى حركة الهمزة على الساكن الذي قبلها كما يفعل في جزْء فقال الوقف جُزْ، فكان يجب أن يقول كفا و هزْ لكنه رفض ذلك لئلا يخالف الخط(٢)، إلى آخر ما ذكره مكي الذي يتفق مع الحوفي في كثير مما ذكر.

ففي قوله تعالى:﴿ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا هِيَهْ ۝ نَارٌ حَامِيَةٌۢ ﴾(٣)، يقول الحوفي قرأ حمزة ما هي بغير هاء في الوصل فإذا وقف فبالهاء و الباقون يصلون و يقفون بالهاء من أثبت الهاء فإنه أراد بيان الحركة و من حذفها أراد الوصل شبهها بما يحذف من الفواصل و إذا وقف أثبت كما تثبت في ماليه و سلطانيه (٤).

يقول مكي قوله:" يتسنه" و نحوه قرأ حمزة بحذف الهاء في الوصل و من "يتسنه و " اقتده " في الأنعام و " و ما أغنى عني ماليه" ، " و هلك عني سلطانيه " و ما أدراك ما هيه"، خمسة مواضع، و واقف الكسائي على الحذف فليتسنه و اقتدى و قرأ ذلك الباقون بالهاء في الوصل و حجه من حذف الهاء في الوصل أنها الهاء، إنما جيء بها للوقف، لبيان حركة ما قبلها و لذلك سميت

١ - الحوفي: البرهان ٣١١/١.
٢ - مكي: الكشف ٢٤٧/١.
٣ - سورة القارعة آية ١٠، ١١.
٤ - الحوفي: البرهان ١٩/٢٨.

هاء السكت. و حجة من إثباتها أنها وصل الكلام و نيته الوقف عليها لكنه لم يسترح بالوقف عليها بل وصل و نيته الوقف[1].

و مكي بهذا القول يوافق الحوفي في كثير مما ذكر، و إذا كان مكي المتوفى سنة ٤٣٧ هـ الذي يقول عن كتابه الكشف: و عدت في صدره أني سأؤلف كتابا في علل القراءات التي ذكرتها في ذلك الكتاب :" كتاب التبصرة" أذكر فيه حجج القراءات ووجوهها و أسميه كتاب الكشف عن وجوه القراءات ثم تطاولت الأيام و ترادفت الأشغال عن تأليفه و تبينته و نظمه إلى سنة أربع و عشرين و أربعمائة[2]، أي أن مكي بدأ في تأليفه للكتاب سنة ٤٢٤ هـ أي في أواخر أيام الحوفي فلابد أنه قد استفاد من الحوفي، و إن كان مكي قد استند كثيرا على أقوال النحاس إلا أنه لم يشير إلى الحوفي أدنى إشارة، و شهادة المؤرخين تبين أن الحوفي التقى بكثير من أهل المغرب و تتلمذ عليهم و تتلمذوا عليه فلابد أن يكون أحدهما قد استفاد من الآخر.

كما أن تأثر مكي بالحوفي يظهر واضحا جليلا في كتابه " مشكل إعراب القرآن " ففي قوله تعالى:﴿ مَا يَنظُرُونَ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً تَأْخُذُهُمْ وَهُمْ يَخِصِّمُونَ ﴾[3]، يقول الحوفي:و هم يختصمون و خبر في موضع الحال من الهاء والميم، والأصل في يَخِصِّمُونَ يختصمون قلبت التاء صاداً لقربها منها و أدغمت في الصاد هذا على قراءة من شدَّد ومن خفف فقال يَخِصِّمُونَ جعله يفعلونه من خصم يخصم أي يخصم بعضهم بعضا[4]، اتفق مكي مع الحوفي في الجانب اللغوي يقول مكي قوله "يَخِصِّمُونَ": من قرأه بفتح الياء و الخاء مشدداً الصاد فأصبح عنده يختصمون ثم ألقى حركة التاء على الخاء وأدغمها في

١ - مكي: الكشف ٣٠٧/١.
٢ - مكي: نفسه ٤/١.
٣ - سورة يس آية ٤٩.
٤ - الحوفي: البرهان ٣/٢٤.

الصاد. و من قرأ بفتح الياء و كسر الخاء مشدداً فإنه لم يلق حركة الياء على الخاء إذا أدغمها و لكن حذف الفتحة لما أدغم فاجتمع ساكنان الخاء و المشدد فكسر الخاء لالتقاء الساكنين(١)، و إن كان الحوفي في تعليله لكل قراءة يميل إلى التيسير و عدم التشديد كما جاء صنيع مكي.

٢-طاهر بن أحمد بن باشاذ النحوي ت ٤٦٩ هـ:

ذكر القفطي كما أشرنا إلى ذلك عند الحديث عن شيوخ الحوفي و تلاميذه أن من تتلمذ من المصريين على يد الحوفي طاهر بن أحمد بن باشاذ النحوي(٢)، الذي عاش في عصر المستنصر الفاطمي و أخذ عن الحوفي و آخرين.

٣- كمال الدين أبو البركات عبد الرحمن بن محمد بن أبي سعيد الأنباري ت ٥٧٧ هـ:

" الإنصاف في مسائل الخلاف "، " البيان في غريب إعراب القرآن" استفاد كثرا من الحوفي ففي قوله تعالى:﴿ ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبَۛ فِيهِۛ هُدٗى لِّلۡمُتَّقِينَ ﴾.

الحوفي ذلك في موضع رفع بالابتداء و الكتاب نعت له، و ريب فيه الخبركأنك قلت ذلك الكتاب حق، و يجوز أن يكون ذلك خبر ابتداء محذوف و التقدير: هذا ذلك الكتاب، و يجوز أن يكون ذلك في موضع رفع بالابتداء و الكتاب خبر، و لا ريب فيه هدى للمتقين نصب على الحال كأنك قلت: ذلك الكتاب حقاً ذا هدى و العامل في الحال الإشارة(٣).

تابعه في ذلك أبو بركات الأنباري حيث يقول: ذلك في موضع رفع من أربعة أوجه: **الأول**: أن يكون مبتدأ و الكتاب خبره، و **الثاني**: أن يكون خبر مبتدأ خبر مقدر

١ - مكي: مشكل إعراب القرآن ٦٠٤/٢.
٢ - القفطي: إنباه الرواة ١ المقدمة .
٣ - الحوفي: البرهان ٣١/١ .

و تقديره هو ذلك الكتاب، و الثالث: أن يكون الكتاب بدلا من ذلك ، والرابع: أن يكون عطف بيان[١]، و كذلك تابع أبو البركات الحوفي في إعرابه لكلمة " هدى " فالحوفي يقول و هدى يجوز أن تكون نصبا حالاً من الكتاب و العامل فيه الإشارة و يجوز أن تكون رفعا تكريراً لذلك الكتاب و يكون الكتاب نعتاً لذلك، فكأنه الكتاب هدى، و يجوز أن تكون خبراً لقوله" لا ريب فيه هدى" خبرا بعد خبر كذلك تكون أيضا خبر بعد خبر لذلك الكتاب و يجوز أن تكون رفعاً على إضمار مبتدأ أي هو هدى[٢]، يقول أبو البركات " هدى" يحتمل أن تكون في موضع رفع ونصب فالرفع من أربعة أوجه الأول: أن تكون خبرا مبتدأ مقدر تقديره هو هدى، والثاني: أن تكون خبراً بعد خبرفيكون ذلك مبتدأ و الكتاب عطف بيان و لا ريب فيه خبر أول و هدى خبر ثان و الثالث: أن تكون مبتدأ و فيه خبره و الوقف على القول " لا ريب"، و الرابع: أن تكون مرفوعة بالظرف ، و النصب على الحال من ذا من الكتاب أو من ضمير فيه[٣].

و في كلمة الناس يقول الحوفي: و الناس هم للجميع و لا واحد له من لفظه وإنما هو لجميع إنسان و إنسانه، والأصل في الناس الأناس ثم حذفوا الهمزة و دليله قوله:

إنما المنايا يطلعن على الأناس الأمانينا[٤].

و إنسان في اشتقاقه قولان أحدهما: أن يكون من نسي و الآخر من الأنس.... إلى آخر كلامه[٥]، و هذا القول الذي قال به الحوفي تجده بتمامه عند ابن الأنباري في كتابيه البيان في غريب إعراب القرآن [٦].

---

١ - أبو بركات: البيان ٤٤/١.
٢ - الحوفي: البرهان ٣١/١.
٣ - أبو البركات : البيان ٤٥/١.
٤ - البيت لذي جدن الحميري: راجع الخصائص لابن جني ١٥٣/٣.
٥ - راجع الباب الثاني من هذا البحث: الجانب اللغوي قسم الاشتقاق.
٦ - أبو البركات الأنباري : البيان ٥/٢.

و الإنصاف في مسائل الخلاف[1]، مع بعض الزيادات و التعديل من تقديم عبارة أو تأخيرها إلا أن ابن الأنباري تجنب الاستطرادات التي تميز بها البرهان أما الآراء و الحجج و الأدلة و القراءات فالاتفاق بينهما واضح تماما مما يدل على تأثر ابن الأنباري بصنيع الحوفي.

٤- أبو محمد بن بري ت ٥٨٢ هـ:

ذكر القفطي أن ابن بري تتلمذ على يد ابن بركات الأنباري[2]، و لما كان ابن بركات ت ٥٨٨ هـ قد تتلمذ على ابن باشاذ ت ٤٦٩ هـ و ابن باشاذ تتلمذ على يد الحوفي فلابد أن يكون ابن بري قد تأثر بالحوفي خاصةً و أن ابن بري له تعليقات كثيرة على كتاب البرهان و تأثر على أجزاء المخطوط بالآتي: قوبل بهذا الجزء جزء بخط المصنف على الشيخ الفقيه أبي محمد عبد الله و هو محمد بن بري بن عبد الجبار النحوي و كل ما في حواشيه بالحمرة و التنبيه على أسماء الشعراء المستشهد بأشعارهم فهو من تنبيهه و استدراكه أو أن المقابلة[3].

و هذا القول يؤكد تلمذة ابن بري على الحوفي و تأثره به. فابن بري كثيراً ما استدرك عليه ففي قوله تعالى﴿ وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِي ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي ٱلْأَخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴾[4]، يقول الحوفي: و الأصل في قنا أوقنا حذفت الواو كما حذفت من يقي و حذف الياء للأمر و النون و الألف نصب بقنا و هو مفعول أول لقنا و عذاب النار المفعول الثاني، و يقال: وقيته وِقَايةً وَوَقَايةً ووِقيا و وقاءً[5]، يستدرك عليه

١ - أبو البركات الأنباري : الإنصاف ٨٠٩/٢ المسألة ١١٧..
٢ - القفطي: إنباه الرواة ١ المقدمة.
٣ - راجع ملحق الراسلة شكل رقم ١.
٤ - سورة البقرة آية ٢٠١.
٥ - الحوفي: البرهان ٨٨/٣.

ابن بري بقوله: و إنما حذفت الواو من مثال المضارع دون مثال الأمر لأنه لو قدرنا أن همزة الوصل دخلت على الواو من أوتينا لانقلبت تاء في الابتداء و لم تحذف كما لم تحذف في أيسر و أيمن(١). و ابن بري بهذا القول لم يخالف الحوفي بل وضح فكرته.

و في قوله تعالى: ﴿ أُوْلَـٰٓئِكَ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّمَّا كَسَبُواْ ۚ وَٱللَّهُ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴾(٢)، يقول الحوفي يقال: سَرعَ سُرْعةً و أسرعَ للشيء إسراعاً و سَارَعَ إليه مسارعةً و تَسَرَّعَ تَسَرُّعاً و تسارعوا تسارعاً و أقبل فلان في سرعان الناس أي في أوائلهم المتسرعين واليسريع ذويب تكون في الرمل(٣)، يقول ابن بري: يقال: سَرع الشيء سُرْعةً وسَراعَةً و سَرْعاً و سِرْعاً فهو سَرع و سَريع و سُراع و سَرْعَان(٤).

من هذا القول و هذه الاستدراكات يتضح أن ابن بري قرأ البرهان و استوعبه و تأثر به و استدرك عليه، و إن كنا نرى أن تلك الاستدراكات لم تخرج عن كونها توضيحاً لفكرة لم يوضحها الحوفي أو أمر التبس على ابن بري.

٥- أبو البقاء عبد الله بن الحسين العكبري ت ٦١٦ هـ:

تأثر العكبري بالحوفي في كتابه " إملاء ما من به الرحمن" تأثراً واضحاً، بل لا نكون مبالغين إذا قلنا أن كتاب العكبري ملخص من كتاب البرهان و مع ذلك لم يشر إلى الحوفي مجرد إشارة، ففي قوله تعالى:(فَإِن لَّمْ تَفْعَلُواْ وَلَن تَفْعَلُواْ فَٱتَّقُواْ ٱلنَّارَ ٱلَّتِى وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ ۖ أُعِدَّتْ لِلْكَـٰفِرِينَ)جاء قول العكبري ملخصاً من قول الحوفي(٥)، يقول العكبري: الجزم بلم لا بأن لأن لم عامل شديد الاتصال بمعموله

١ - الحوفي: البرهان ٨٨/٣.
٢ - سورة البقرة آية ٢٠٢.
٣ - الحوفي: البرهان ٨٩/٣.
٤ - الحوفي: نفسه ٨٩/٣.
٥ - راجع الباب الثاني من هذا البحث قسم: عناية الحوفي بالإعراب.

ولم يقع إلا مع الفعل المستقبل في اللفظ و أن قد دخلت على الماضي في اللفظ[١]، وفي وقودها الناس يقول الحوفي، الوقود بالفتح الحطب و بالضم الفعل[٢].يقول العكبري الجمهور على فتح الواو هو الحطب و قرئ بالضم وهو لغة في الحطب[٣].والأمثلة كثيرة يصعب حصرها و يكفي الرجوع إلى الكتابين.

٦- أبو عبد الله محمد بن أحمد القرطبي ت ٦٧١٤ هـ:

يتبين لنا تأثر القرطبي في تناوله للآيات القرآنية بالشرح و التفسير و الإعراب والأحكام الفقهية. ففي قوله تعالى:﴿ بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ وَإِذَا قَضَىٰٓ أَمۡرٗا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴾[٤]

يقول الحوفي : بديع السموات مرفوع على إضمار مبتدأ أي هو بديع ،وبديع مبدع ولكنه صرف إلى فعيل للمبالغة مثل أليم في مؤلم و سميع في مسمع، بديع السماوات و الأرض أي مبدعها أي منشئهما و هو المحدث لما لم يسبق إليه و هو مفعل مصروف إلى فعيل للمبالغة فمعنى الكلام سبحان الله أن يكون له ولد و هو مالك السماوات و الأرض يشهد جميعا بدلالتها عليه بالوحدانية إذ كان موجدها من غير أصل و لا مثال و إعلام منه أن ممن يشهد له بذلك المسيح لأن من أبدع السماوات و الأرض من غير أصل و على غير مثال، هو الذي ابتدع المسيح من غير والد بقدرته نحو ما روي عن الربيع و السدي، وقال أبو إسحاق كل ما أنشأ ما لم يسبق إليه قيل له ابتدعت و يقال لمن خالف الصحابة و الإجماع مبتدع[٥].

١ - العكبري: املاء ما من به الرحمن ١٥/١.
٢ - الحوفي: البرهان ٩٢/١.
٣ - العكبري: السابق ١٥/١.
٤ - سورة البقرة آية ١١٧.
٥ - الحوفي: البرهان ١٢٦/٢.

يقول القرطبي قوله تعالى:﴿ بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ.. ﴾ فعيل للمبالغة وارتفع على خبر ابتداء محذوف، واسم الفاعل مبدع، كبصير من مبصر أبدعت الشيء لا عن مثال، فالله عز وجل بديع السماوات والأرض، أي منشئهما وموجدهما ومبدعهما ومخترعهما على غير حد ولا مثال وكل من أنشأ ما لم يسبق إليه قيل له مبدع، ومنه أصحاب البدع(١).

الكلام واحد دون أن يشير القرطبي إلى قائله، وقد تابع القرطبي الحوفي في معالجته للأحكام الفقهية، فقد اعتمد الحوفي في تخريجاته الفقهية على أئمة المذاهب الفقهية مالك والشافعي وأبي حنيفة وابن حنبل والثوري وابن أبي ليلى والنخعي وأبي ثور والأوزاعي(٢).

٧- جمال الدين عبد الله بن يوسف بن أحمد بن هشام ت ٧٦١ هـ:

تعمق مذاهب النحاة، وقد توقف مراراً في كتابة المغني بإزاء توجيهات الحوفي الإعرابية ببعض آي الذكر الحكيم(٣)، وقد أشار في مقدمة كتابه المغني إلى الحوفي يقول والثالث إعراب الواضحات، والفاعل ونائبه، والجار والمجرور والعاطف والمعطوف وأكثر الناس استقصاء لذلك الحوفي (٤)، وابن هشام يرتضي رأيه في أن خبر الذين في قوله عزوجل ﴿ وَٱلَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِٱلْكِتَٰبِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُصْلِحِينَ ﴾ (٥)، وأجيب بمنع كون الذين مبتدأ بل وهو مجرور بالعطف على الذين يتقون ولئن سلم

١ - القرطبي: الجامع لأحكام القرآن ٨٦/٢.
٢ - راجع في ذلك الأحكام الفقهية عندهما.
٣ - شوقي ضيف: المدارس النحوية ٣٣٤.
٤ - ابن هشام: مغني اللبيب ١٢/١ خطبة المؤلف.
٥ - الأعراف آية ١٧٠.

فالرابط العموم لأن المصلحين أعم من المذكورين أو ضمير محذوف أي منهم وقال الحوفي الخبر محذوف أي مأجورون والجملة دليله[1]، واعترض عليه بقوله: قول الحوفي: إن الباء من قوله تعالى: ﴿...فَنَاظِرَةٌۢ بِمَ يَرۡجِعُ ٱلۡمُرۡسَلُونَ﴾[2] متعلقة بناظرة، ويرده أن الاستفهام له الصدر[3].

٨- الإمام بدر الدين محمد عبد الله الزركشي ت ٧٩٤ هـ:

والزركشي أمين كابن هشام نص على أستاذية الحوفي في كتابه: البرهان في علوم القرآن وكانت كتب الحوفي من المصادر المهمة للزركشي.

وعلى هذا فقولنا بأن المؤرخين أنصفوه حقيقة واقعة بينما تناساه المفسرون.

١ - ابن هشام: نفسه ٥٠٠/٢.
٢ - سورة النمل آية ٣٥.
٣ - ابن هشام: نفسه ٥٤٢/٢.